مقياس: فلسفة النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة السابعة: الواقعية الاشتراكية

1- مفهوم الواقعية الاشتراكية:

وتسمى أيضا الواقعية الجديدة، وقد نشأ هذا المذهب ردا على الرومانسية والواقعية الانتقادية والطبيعية، ونما وانتشر مع اتساع الدراسات الاشتراكية، وتجسد هذه الواقعية الرؤية الماركسية للأدب، وتحمل مبادئ الفلسفة المادية الجدلية التي تقوم عليها الشيوعية.

والماركسية في الأساس نظرية في الاقتصاد السياسي؛ وضعها 'كارل ماركس' بمشاركة مهمة من 'فريديريك إنجلز'، في منتصف القرن التاسع عشر، وتقوم هذه النظرية التي اشتهرت بالشيوعية على أن الأفراد في المجتمع الإنساني يدخلون غي علاقات إنتاجية، وأن مجموع هذه العلاقات الإنتاجية يشكل البنية الاقتصادية للمجتمع، ويتحكم نمط الإنتاج في الحياة المادية بحركة الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية عموما، وأهم أسسها:

- أن الحياة الاجتماعية لها بنية دنيا وهي النتاج المادي، وبنية عليا هي النظم السياسية والثقافية؛ وهذه البنية العليا هي وليدة البنية الدنيا؛ إذ إن هذه البنية هي التي تحدد علاقة الإنسان بالطبيعة، وتخلق المقومات الأساسية للمجتمع، وكل تغيير في قوى الإنتاج المادية يحدث تغييرا في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

- تضارب المصالح الاقتصادية والاجتماعية يثير صراع الطبقات، ومن شأن هذا الصراع أن يتقدم بتاريخ المجتمع وأفكاره، فالمجتمع ينشئ بنفسه العوامل

الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر في ظهور طبقة بعينها وسيطرتها، ما بين إقطاعية وبرجوازية وعمالية، ولكل طبقة مذهبها الفكري الذي يمثل المضمون الفكري للبنية العليا.

- العمل الأدبي ينتمي إلى البنية العليا في المجتمع؛ لأنه جزء من المذهب الفكري لكل طبقة من طبقات المجتمع؛ فالأدب شأنه شأن أنماط الحياة الحقلية خاضع في التصور الماركسي للقوى الاقتصادية والإيديولوجية، فهو مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته وتطوره، ويؤثر في المجتمع بقوته الخاصة؛ لذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع وفق المفهوم الماركسي.

- ويقضي هذا المفهوم أن يهتم بالطبقات الدنيا (طبقات الفلاحين والعمال)، وأن يصور الصراع الطبقي بينها وبين الطبقة الرأسمالية والبرجوازية؛ التي تمثل مصدر الشر في الحياة، فيدينها ويكشف عيوبها، وينتصر لطبقة العمال والفلاحين ويظهر جوانب الخير والإبداع، ويبشر بانتصار اشتراكيتهم؛ ومن هنا يعد الواقعيون الاشتراكيون أن مذهبهم قائم على التفاؤل والانتصار للخير، ويتصورون أن ماركسيتهم ستحل تناقضات العالم، ويطالبون الأدباء بإظهار ذلك في نصوصهم الإبداعية.

- وتبعا لذلك هم يرفضون أية تصورات ترتبط بالعقائد أو الأديان، التي يرون أنها تمثل الرجعية والتخلف، ويصورون الإلحاد على أنه تنور وتقدم، وينشرون هذا التصور في قصصهم ومسرحياتهم وقصائدهم.

2- أدب الواقعية الاشتراكية:

يعد 'مكسيم غوركي' أول من استخدم اصطلاح (الواقعية الاشتراكية) في كتاباته، ثم انتشر المصطلح والمذهب في أنحاء مختلفة من العالم، وقرر الاتحاد السوفييتي والصين وبعض الدول الشيوعية اعتباره المذهب الرسمي للأدب فيها.

وكان ميدان هذا المذهب القصة ثم المسرحية، ثم الشعر وعم الأجناس الأدبية كلها، ومن أشهر أدبائهم: مكسيم غوركي، وشولخوف، ومایاكوفسكي، ولوركا، وبابلو نيرودا، وجورج لوكاتش، وروجيه غارودي (قبل إسلامه)، وغيرهم.

3- الواقعية الاشتراكية في النقد الأدبي:

يتجه النقد الأدبي في دراسة أدب الواقعية الاشتراكية إلى اتجاهين:

أ- **اتجاه الشرح والتفسير لتراث الإنسانية:** ويقصد فيه إلى تفسير الأدب بوصفه جزءا من البنية العليا للمذهب الفكري، ولهذا يجب أن يدرس في علاقاته الدياليكتية (الجدلية) بالبنية الدنيا؛ فالأدب تعبير عن رؤية الكاتب لما حوله، من وجهة نظر تتصل بحقيقة من الحقائق، وهذه الحقيقة ليست فردية بل اجتماعية؛ فطريقة التفكير لطبقة من الناس تفرض نفسها على أفراد تلك الطبقة من الكتاب، فيشعرون بها ويعبرون عنها في كتاباتهم الأدبية، ولكل عصر موضوعاته العامة المتصلة ببنيته الاجتماعية.

وتفسير العمل الأدبي على هذا النحو يعنى فيه بالمضمون، ولا قيمة فيه لحياة الكاتب، والقصد الأول منه وضع العمل الأدبي مكانه في البيئة الاجتماعية، مع بيان العوامل الاقتصادية المتحكمة فيه.

على أن ماركس يقرر أن العلاقة بين النتاج المادي والتقدم الفني ليست آلية، فقد يتأخر وعي الإنسان لحاضره، بسبب الأفكار والتقاليد الموروثة، يقول: "أما فيما يخص الفن، فمن المعلوم أن عصورا معينة ليس لازدهار الفن فيها علاقة ما بالنمو العام للمجتمع، وبالتالي لا علاقة لهذا الازدهار بالأساس المادي، وبأساس البنية في النظام الاجتماعي".

ب- **اتجاه التقويم والتوجيه للأدب في الحاضر:** وهو اتجاه يقوم في جوهره على أساس موضوعي لا نفسي؛ فكل عمل أدبي تصوير من الكاتب للعصر الذي يعيش

فيه، ويرتبط الأدب بالعمل ويظل في خدمة الثورات التي تجدد القيم في المجتمع، لأن الكاتب لا يدعو إلى ذلك بوصفه فردا بل باسم الفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها، أي باسم المبادئ الإنسانية في موقف جماعة في عصر من العصور، ومن ثم يكتسب التعبير الفني طابعا موضوعيا ويتحقق الكاتب معناه الإنساني.